آليات الاختلاف ودورها في العمل الإيجابي في فكر الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي

الدكتورة: سعاد دوفاني
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
قسنطينة – الجزائر -

المقدمة:

ما يزال العالم الإسلامي يعاني مخلفات الهجمة الاستعمارية عليه وأبرزها الغزو الثقافي والفكري، ما جعلها تعطي قراءتها الخاصة لكثير من المفاهيم التي فرضت علسها بدءا من احتكاكها الفكري والثقافي والعسكري والسياسي بالغرب في القرن الماضي.

وشكلت هذه المصطلحات الوافدة أسئلة طرحت تحديا كبيرا أمام الفكر الإسلامي، ووضعته على المحك، لاسيما وأن استعارة مفاهيم من نسق حضاري مختلف له خصائصه وأصوله وقواعده المغايرة دون أن نسقط من اعتبارنا أن هذه المفاهيم عادة ما تكون مشحونة بجملة من الأفكار المتصلة بقواعد متعددة، ومؤدية إلى آثار مختلفة في جوانب الحياة، مع أن هذه المفاهيم قد تكون أفرغت من محتواها الأصيل بعدما اجتثت من محيطها الذي أكسبها معاني مرتبطة به ارتباط كينونة ووجود.

من هذه المصطلحات مصطلح الاختلاف والذي ينصرف معناه الإسلامي الأصيل إلى التنوع والثراء وما يتبعه من معاني تعطيه بعدا هاما في البناء الفكري، وحيزا مهما في العلاقات الإنسانية من حيث الثراء والمساحة.

ومن أهم آليات الاختلاف، التعايش والتسامح اللذان جاء بهما الإسلام لتستظل الإنسانية بهما في كنف العدالة الالاهية والفيوضات القرآنية التي سمت بالإنسان نحو الجمال والجلال الرباني، وجعلتهما أساسا مهما من أسس الإصلاح الذي اعتمده المصلحون منذ زمن بعيد، كل حسب منطلقاته وحسب رؤيته الخاصة.

١- الحركة الإيجابية ومنهج الإصلاح عند النورسي:

وباعتباره أحد المصلحين، سلك الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله مسلكا خاصا به في منهج الإصلاح، خالف به من سبقوه إذ لم يكتف بالتفكير والتنظير من برج مستقل، ومخاطبة أهل الاختصاص دون سواهم ومحاولة توضيح موقف نظري إيديولوجي يقدر أنه صالح للتطبيق مبرزا طروحاته الفلسفية والتميز بها، بل كانت كتاباته البديعة قطعة من الروح أحيا بها موات الأفكار، واحتضن بها تحديات الواقع المرير بحلول وعلاجات من طبيب خبر حقيقة الوجود، والنفس، وتمثل ببصيرة المؤمن تجليات حقائق القرآن الكريم وكنوزه وإشعاعات السنة المطهرة وذررها، فراح يسقطها على واقع الأمة نورا في رسائل، ورسائل من فيوضات القرآن الكريم، فكان بحق مجددا بما تحتمله كلمة التجديد من معاني.

لقد غاص الأستاذ النورسي في أعماق الحياة وأعماق الإنسان ليسبر أغوارها، ويسمو بالإنسان نحو الفضيلة، وبشرت روحه وقلبه ألفة ورحمة وجنوحا إلى السلم والطمأنينة، والتطلع نحو الخلود الذي تحن إليه، بسلوك منهج الفضيلة والعدل والعفو وسائر أخلاق القرآن الكريم، لا سيما والإنسانية اليوم أكثر تعطشا لها من ذي قبل، في عالم معولم، كفر الإنسان فيه بكل ما يخالف المادية، وغرق في أوحال الظلم والقهر، وما جناه من حقد وصراع، و إرهاب، وحروب وعنف...لأنه غاب عن الإنسان المفهوم الحقيقي لاختلاف والآلية الناجحة لإدارته وهي الحوار.

٢- بديع الزمان النورسي والحوار:

الحوار: هو منح الفرصة للطرف الآخر حتى يعبر عن آرائه وأهوائه[١] في جو من الحرية والقبول حت تتواصل الأفكار والرؤى ويظهر صحيحها من فاسدها وفق ميزان الحق، كما قد تكون أوجه متنوعة متعددة للحق الواحد، يقول بديع الزمان سعيد النورسي "أنظر إلى ذوي الحياة المتجولة في خصم هذه الكائنات السيالة، وبين هذه الموجودات السيّارة، ترى أن على كل كائن حي، أختاما كثيرة، وضعها الحي القيوم"[٢] وكذلك جهود الفكر قد تتنوع وتتشعب لكنّها في النهاية تدل على الحق.

وكان النورسي -رحمه الله- يرى أن الخلاف والجهل من ألذ أعداء الأمة إذ يقول:

---

(١) سلمان العودة، كيف نختلف، ط١ ١٤٣٣هـ، مؤسسة الإسلام اليوم للنشر الرياض، ص١٢٨.
(٢) الكلمات، ص ٣٢٩.

"سنجاهد بسلاح العلم والتقنية، الجهل والفقر والخلاف الذي هو ألذ أعداء إعلاء كلمة الله. أما الجهاد الخارجي فنحيله إلى السيوف الألماسية للبراهين القاطعة للشريعة الغراء لأن الغلبة على المدنيين إنما هي بالإقناع وليس بالإكراه كما هو شأن الجهلاء الذين لا يفقهون شيئا"[1] ليكون الحوار تعليم للأطراف المتحاورة والتي هي كما الجميع في حاجة ماسة إلى استجلاء الحق والإذعان له، وأن يكون شعار كل طرف وكل إنسان وجماعة: رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأيك خط يحتمل الصواب خاصة والقرآن الكريم كثيرا ما عرض علينا قصص التحاور والتي يبدو فيها أن أطراف الحوار على تباين مللها وأفكارها واختلاف قناعاتها تسمع وترد بما تراه قناعة راسخة عندها، سواء أدى هذا الحوار إلى نتيجة أم لا، فمثلا قصة أول صراع بشري بين ابني آدم يعرضها القرآن بطريقة توضع المواقف، وتستجلي الحقائق بإعجاز فريد، يفتح المسالك التي تؤدّي إلى حسن التلقي والاعتبار، وإذ يعرض علينا الله تعالى هذه القصة والتي تحاور فيها أخوان، واحد يؤمن بالحوار واللا عنف طريقا لحل المشاكل والخلافات، والآخر يخالفه في الطرح والرؤية مقتنع بأنه لا سبيل لحل الإشكال إلا العنف والمتمثل في القتل و لنتأمل الآية حيث يقول تعالى ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[2] والملاحظ في هذه القصة، محاولة الطرف المسالم مواجهة الموقف بحكمة، و اجتناب العنف الذي يكون فيه الرابح خاسرا، أمام إصرار الطرف المعاند على مجانبة الصواب والحكمة وإنهاء الموقف بالخسران والندم. والقرآن في هذا يعلمنا أن الحكمة والتعقل هي الأسلوب الحضاري الذي يستحقه ويلتزم به الإنسان المكرم على سائر المخلوقات، لأن الحوار والإقناع طريق إلى الفوز والفلاح في جميع الأحوال، وهو مظهر من مظاهر الرقي الذي تتشوق إليه روحه باعتباره تجليا للرحمة الالاهية وفي ذلك يقول الأستاذ النورسي "إن الإنسان

(١) صيقل الإسلام، الخطبة الشامية ص ٥٢٧.

(٢) سورة المائدة، الآيات: (٢٨-٢٩-٣٠).

هو الثمرة النهائية لشجرة الخلقة، ومن المعلوم أن الثمرة هي أبعد أجزاء الشجرة، وأجمعها وألطفها، لذا فإن الإنسان هو ثمرة العالم، وأجمع وأبدع مصنوعات القدرة الربانية وأكثرها عجزا وضعفا ولطفا"[1] ثم يواصل قائلا "وخلقه الباري مظهرا لجميع تجليات أسمائه الحسنى وجعله مدارا لجميع نقوشه البديعة جلت عظمته، وصيّره مثالا مصغرا ونموذجا للكائنات بأسرها"[2] وهو ما يترتب على الإنسان مسؤولية الاجتهاد والرقي نحو الكمال، والسمو نحو الفضائل ليستحق المنزلة الكريمة التي وضعته القدرة الالاهية فيها، بشرط أن يدرك المفهوم الرسالي للقرآن وهو لبيان والتربية والتوجيه نحو الحق والخير والذي أدركه الأستاذ النورسي حين قال "الوظيفة الأساسية للقرآن هي تعليم شؤون دائرة الربوبية وكمالاتها ووظائف دائرة العبودية وأحوالها"[3]، وقد لمسنا ذلك في الحكمة من قصة ابني آدم، إذ يعلمنا القرآن منها، قيمة الصبر والتسامي عن العنف والحسد والبغض كما يعلمنا عاقبة التهور واتخاد العنف سبيلا لحل المشاكل، ويربينا على التحمل والروية، وقبول آراء الآخرين ليكون الهدف الوصول إلى الحق واتباعه.

٣- شروط الحوار:

كي يكون الحوار بناءً او نافعا لابد أن تتوفر فيه جملة من الشروط منها:

أ- الحوار من منطلق التسوية:

بين الطرفين المتحاورين والتسليم بأن الحقيقة لست حكرا على أفراد أو جماعات أو أمم، بل لا خلاف على أن إدراك الناس لها يتعدد مع نسبيته بتعدد فهومهم وتفسيراتهم بناء على اختلاف وتنوع هذه التفسيرات وتلك المدارك لأسباب قد تكون ذاتية كما تكون موضوعية، وما دام الأمر كذلك فلابد أن يكون إقبال كل طرف على محاورة الآخر، ضمن رؤية تستوعب الخصوصيات وتدمجها بالمكاسب المستفادة من حياة الآخر ونظرته إلى الحق، لتكون منها رؤية مغايرة ومتطورة، فيتهيأ كل منهما إلى السعي نحو كشف الحق وإزالة اللبس عنه، بما لديه من أدلة وحجيج واضعا نصب عينيه احتمال صواب رأيه أو خطأه، وساعيا إلى الخير والإيجابية والفعل مبتعدا عن الشر والسلبية والتخريب لأنه في نهاية المطاف يسعى

(١) بديع الزمان النورسي، الكلمات، الكلمة الخامسة عشرة، ص٢٠٤.

(٢) المرجع نفسه، الكلمة الثالثة والعشرون، ص٣٤٩.

(٣) المرجع نفسه، الكلمة العشرون، ص٢٩٣.

إلى السمو ونحو الجلال الالاهي مبتغيا مرضاة الله في الدنيا والآخرة، وفي ذلك يصور الأستاذ النورسي هذه الأهداف النبيلة بقوله "أن السمو والرقي الحقيقي إنما هو بتوجيه القلب والسر والروح والعقل وحتى الخيال وسائر القوى الممنوحة للإنسان إلى الحياة الأبدية الباقية، واشتغال كل منها بما يخصها ويناسبها من وظائف العبودية"[1]، ومتى اقتنع الإنسان بأن سعيه لابد أن يسمو نحو الحق فإنه ينظر إلى محاوره نظرة احترام وقبول لعله يكون مفتاحه إلى غايته، ويكون الحوار حينئذ عدة قيم نحو التوصل إلى الحق وتلمس طريقه.

ب- **التأسيس لتكافؤ الأدلة:**

وهو ما يحفظ للحوار توازنه، حيث يتحاور كل طرف على أساس معرفي، يضمن له امتلاك الحجة الملزمة، وعدة توصله إلى الحق كما يضمن له عدم الوقوف موقف العاجز المنهزم، ولو كان صاحب الحق، لأن الحق يحتاج إلى قوة الموقف وصلابة صاحبه حت يظهره، بما لا يدع مجالا للتشكيك فيه من طرف المحاور المخالف، ولا حاجة للمسلم أن يبحث عن هذا الزاد خارج نصوص الوحي من قرآن كريم وسنة صحيحة، وما عليه إلا ضبط وتوضيح مستويات الخطاب القرآني ليتمكن من تجاوز التراكمات التاريخية، ويصل إلى إنشاء معالجة علمية لكل أسباب الخلاف والاختلاف بين الأفراد أو الأمم أو الحضارات أو الأديان، ومن ثم التوصل إلى القواعد والمقومات الخاصة التي تسمح بالمقاربة بينها ثم استجلاء أقربها إلى الحق، وهو الأمر الذي سيدفع بطرفي الحوار إلى بذل الوسع في تدعيم كل رأي أو طرح بالأدلة التي يملكها، فاسحا المجال أمام العقل المستنير للموازنة والمقارنة، وإثبات أقوى الآراء وأقربها إلى الصواب في مساواة تامة أو كما عبر عنها الأستاذ بديع الزمان النورسي قائلا "ما الذي يؤدي إلى وحدة الأمة غير رفع الامتياز"[2] وكذلك الذي يؤدي إلى وحدة الآراء واتحادها حول الحق في رفع الامتياز عن أي طرف محاور، كما يوصي الأستاذ النورسي حملة الدعوة والمدافعين عن احق بالتسلح العقلي قائلا "يجب أن تصنعوا أسلحتكم من العلم والصناعة ومن التساند و من جوهر الحكمة القرآنية"[3] لأن القرآن يزودنا بكل ما نحتاجه من سلاح الحق وأساليب المحاججة الصحيحة العاقلة ولنا في قصة إبراهيم الخليل – عليه السلام– مع الطاغية النمرود الذي حاجه في الله، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ

(١) الكلمات، ص٣٦٣.

(٢) بديع الزمان النورسي، ديوان الحرب العرفي، ص٤١.

(٣) المصدر السابق، ص ٥٤.

ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1] والتي تعلمنا أن العلم بموضوع الحوار، والتسلح بالحق، واتقان البرهنة والدفاع عنه يجعل المحاور يقف على أرض صلبة في ثبات واستعداد لإظهار الحق والوصول إلى إقناع محاوريه بما عنده، دونما حاجة إلى تعصب للرأي ورغبة في الظهور والغلبة، بل بالعكس سعيه كله لأجل إظهار الحق ووصوله إلى الناس ليهتدوا، وهو دأب ابراهيم – عليه السلام– ودأب الأنبياء جميعا – عليهم السلام– إذ كانت غايتهم تعبيد الخلق للخالق، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ورغم أنهم أصحاب الحق ومؤيدون بالوحي إلا أنهم ينزلون أنفسهم منزلة محاوريهم، ويريدون أن يعطي كل طرف أحسن ما عنده، وهم على يقين أن الحق أحق بالظهور في النهابة.

بل وأكثر من دلك نجد القرآن الكريم يلوم محاوري الأنبياء ويبين لهم أنهم يفشلون لاستعلائهم على الحق، وعدم اكتراثهم لمحاوريهم "فالقرآن الكريم يأخذ على كل هؤلاء الذين يخاصمون النبوات والرسالات السماوية أنهم يدخلون معركة الحوار دون سلاح، لأنهم لا يملكون علما أو حجة، أو إحاطة بالموضوع الذي يرفضونه ما يجعل من جدالهم ورفضهم قضية مزاج، وعقدة نفسية تتحكم بهم، فتدفعهم إلى اللف والدوران تارة وإلى التكذيب بلا مبررات تارة أخرى، الأمر الذي لا يؤدي إلى أية نتيجة لحساب المعرفة أو المصلحة الحق"[2]وفي القرآن الكريم أمثلة عديدة لحوارات في مستويات مختلفة، تبين أسلوب المقارعة بالحجة، وحاجة المحاور إلى البراهين والأدلة الدامغة لإظهار الحق وإيصاله إلى الناس.

ج–أن يكون منطلق الحوار إبداعيا لا دفاعيا:

إذ لا ينبغي أن يكون المتحاور مدافعا عن أفكاره وآرائه بل وأحكامه المسبقة لأن ذلك يبعده عن الموضوعية، ولا أن يكون دوره في الحوار تعبير عن أحواله النفسية ما يجعل خطابه وجدانيا يعبر عن مجرد انفعالات تختلج في نفسه إزاء موضوع الحوار، وهو ما نلحظه في معظم حوارات المسلم مع غير المسلم إذ يلجأ المسلم غالبا إلى الانفعال والاستنجاد بالمثيرات الوجدانية، ويستعمل التعبيرات الخطابية الأدبية التي تفتقر إلى الرزانة وامتلاك سلاح الحجة

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٥٨).

(٢) محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن الكريم، ط٦، دار الملاك، بيروت ٢٠١١، ص٨١.

والبرهان وهو ما يلح عليه ويؤكده الأستاذ النورسي في قوله "إن سبيل هذا الاتحاد هو المحبة وخصومته موجهة للجهل والبؤس والنفاق، وليكن غيلا المسلمين مطمئنين وواثقين بأن اتحادنا هذا ضد هذه الصفات الثلاثة وأسلوبنا مع غير المسلمين قائم على الإقناع ذلك لأننا نعف أنهم أشخاص مدنيون لذا يجب إظهار الإسلام بشكل محبوب وبشكل سام"[1] لأننا ونحن أصحاب الحق حريّ بنا أن نكون الأهدأ والأثبت في الحوارات ما دمنا على يقين أن محاورينا من أهل الباطل، ومن الطبيعي أن لا يغلب الحق من طرف الباطل إلا إذا كان أهل الباطل أقوياء مع باطلهم وأهل الحق ضعفاء مع الحق الذي يملكون، ومن الابتلاءات لأصحاب الحق أن يظهروا قدرتهم على الانتصار به كمن يحمل سلاحا قويا، فإن كان يحسن استعماله ظهرت قوة السلاح ونجاعته وأن كانوا يجهلون استعماله فإنه وقضيب الخشب في أيديهم سواء.

ومنه فلابد أن يكون خطاب المحاور الناجح عقليا توليديا يؤسس لتحول جذري في المواجهة القائمة على العلم والنقد البناء، وعرض الأدلة انطلاقا من موضوع الحوار وانتهاء إليه، والوصول في النهاية إلى ابداع أنساق معرفية جديدة، والتأثير في الطرف المحاور بفسح المجال أمام عرض المنظومة القيمية المعرفية الواسعة ذات المرجعية الإسلامية التوحيدية، والتي كانت ثمرة قراءة استنباطية للنصوص، لا قراءة تراثية استرجاعية، لا تزيد إلى الفهوم شيئا جديدا بل تجعلنا نتجمد على ما فهمه الأسلاف، لنضيع حينئذ التدفق النوراني للقرآن في العقول والقلوب ونقضي على صلاحية القرآن لكل زمان ومكان، ونحن على يقين أن المستقبل للقرآن الكريم لأن الحق أحق أن يسود ويحكم البشرية مهما طال ظلامها.

د- أن ينطلق الحوار من المشترك:

إن أهم أسباب نجاح الحوار أن يتقاسم أطرافه حيزا مشتركا، والمحاور الناجح هو الذي ينطلق من النقاط المشتركة بينه وبين محاوريه تمهيدا لفتح آفاق التلقي والقبول، وتضييق فجوة الخلاف بينه وبينهم لإبعاد التصادم والخلاف.

ونرى المسلمين يغفلون هذا الشرط في حواراتهم، والذي نراه كفيلا بجعل أطراف الحوار تسع إلى تضييق المشترك الجامع ليطفو الخلاف والنزاع، ما سينسف الحوار من أساسه، وبه

---

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، آثار بديعية، ص٣٧٩.

تنصرف اهتمامات المتحاورين إلى الردود والتراشق بالتهم، ومن ثم البحث عن السلبيات لعرضها طلبا للغلبة والتفوق، وهو ما يحدرنا منه القرآن الكريم إذ يعلمنا الأسلوب الراقي والحضاري للحوار، ضمن منهجية توسع مجال المتفق عليه، في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[1] فيتضح لنا من هذا الأسلوب أن الله تعالى يأمرهم بما يعرفون ويقرون به من مسلمات، ثم خلص إلى نهيهم عن الشرك بالله، واتخاذ الأنداد، واشراكهم معه في العبودية، وهو ذاته الأسلوب الذي اتبعه المصطفى عليه الصلاة والسلام وهو يعلم أمته كيف تصدع بالحق وتوصله إلى العالمين عن طريق الحوار، وتوسيع دائرة المشترك، فقد روي عن ابن عباس ﷺ أنه قال: لما نزل قول الله ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾[2] خرج رسول الله ﷺ حت صعد الصفا فهتف "يا صباحاه، فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه فقال: أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مصدقيّ؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا، قالك فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد..."[3] وهو بهذا يعلمنا أننا عندما نناقش غيرنا لا نبدأ بالأشياء التي نختلف عليها، بل يجب أن نبدأ بالأشياء التي نتفق عليها لأن الحق يحتاج في بيانه إلى جمع الفرقاء على أكبر قدر ممكن من المشترك المتفق عليه، ليتم إيصال الحق ويتحقق البلاغ المبين، وفي ذلك يقرر الأستاذ النورسي بأن أول قاعدة لتدبير الخلاف هي جعله خلافا إيجابيا مثبتا بناء، ويقابله الخلاف السلبي عندما يحاول كل مخالف إبطال مذهب مخالفه والتفرد بالحق والصواب، ومبعثه الحق والعداوة والضغينة وهذا النوع مردود غير معتبر لأن البحث عن الحقيقة فيه لأجل أغراض شخصية، وللتسلط والاستعلاء ونيل الشهرة وحب الظهور[4].

هـ- الرجوع إلى الحق متى ظهر:

أي أن يمتلك المتحاور الشجاعة التي تجعله يقر بخطئه ويعترف بمجانبته للصواب، وفي ذلك تقويم للنفس وحمايتها من العزة بالخطأ، وإقرار بأن الإنسان كثير الخطأ وأن خير

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: (٢١-٢٢).

(٢) سورة الشعراء، الآية: (٢١٤).

(٣) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: وأنذر عشير تك الأقربين، ح رقم ٤٤٩٢.

(٤) بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ص٣٤٧.

الخطائين التوابون والتوابون هم الراجعون إلى الحق والعدول عن الخطأ، من جهة كما فيه مساعدة وحمل للمحامر الآخر باستعداده للاعتراف بخطئه وهو أيضا إن بدا له ذلك في نهاية الحوار، وإقامة الحجة، ويكون في هذه الحالة من اليسير إظهار الخطأ فتكون معالجته أيسر، وهي سمة العاقل وخلافها التعصب للرأي الذي يدفع صاحبه إلى رفض آراء غيره ودافعه الحقيقي هو الجهل بما عنده من جهة والجهل بما عند غيره من جهة أخرى، فلو كان يعلم ما عنده حقيقة لاحتمل الصواب فيه، وهو سلوك سيتسبب في فشل الحوار، وفي تأخير ظهور الحق، وما يتبعه من خسارة لفرض التفاهم والتعايش بين البشر، وفي ذلك يقول الأستاذ النورسي: "فالحياة الاجتماعية المؤقتة للمجتمع البشري والحضارة الإنسانية، يوجد فينا الخير والشر، والطيب والخبيث والطاهر والقذر معا، فالعاقل هو من يعمل على قاعدة: خد ما صفا دع ما كدر، فسيرى مع سلامة القلب واطمئنان الوجدان"[1] ولا غرابة في موقف الأستاذ وهو القائل "إن مذهبي هو إبداء الحب للمحبة وإظهار الخصام للعداء أي أن أحب شيء لدي في الدنيا هي المحبة وأبغض شيء عندي هو الخصام والعداء"[2] وهو دأب من يريد الحق ويسعى إلى إظهاره في كل مسلك من مسالكه دعوته إلى الله تعالى.

٤- آداب الحوار:

بعد التعرض لبعض شروط كي يكون نافعا وإيجابيا بل وناجحا، سنذكر بعض الآداب التي تزين الحوار وتكسي المتحاورين حلة الاحترام والتقدير، ولعل أبرزها:

أ- الكلمة الطيبة:

ما دام الحوار مسلكا لإظهار الحق، فلا أسلم ولا أصوب من أن تستعمل الكلمة الطيبة سحرها في إيصاله إلى القلوب وفتح مغاليقها، فتتهيأ به الأجواء لقبول الحق في جو يسوده القبول والاحترام المتبادل، وموجهنا في ذلك القرآن الكريم حيث يقول تعالى ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾[3] وتبلغ توجيهات القرآن الكريم للمتحاورين قمتها في قوله تعالى ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص٣٦.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص ٤٢٣.

(٣) سورة الاسراء، الآية (٥٣).

ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾[1] مع ما تستلزمه الكلمة الطيبة من رحابة صدر، وصبر وكظم للغيظ، وقد أمر الله تعالى نبيه بالكلمة الطيبة حين قال ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[2] وينهانا عن الفضاضة والغلظة في مجادلة أهل الكتاب حيث يقول ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[3] كما لهذا الأسلوب اللين من أثر في ترقيق القلوب وتهيئة النفوس إلى السماع، وهي أولى خطوات نجاح الحوار.

ب- الاحترام المتبادل:

لأن الاختلاف في الآراء تنوع يتحقق به التكامل، وما يضمن له ذلك هو احترام كل طرف لمحاوريه، ولآرائهم ولمعتقداتهم، فالموضوع أكبر من مجرد خلاف بسبب الاختلاف والهدف أسمى من مجرد أن تكون غاية كل طرف هي الخروج منتصرا بهزيمة الطرف الآخر أو الأطراف الأخرى، والمسلم مطالب بالاجتماع مع غيره على البر والخير، واحترام المخالف ما دام الأساس هو الاختلاف في الرأي، لأن العقول مفطورة على هذا التنوع، وأنها لو اتفقت لضاع معن التنافس على الخير، وإيصال الحق إلى الناس، بل وستتميز الحياة بالركود، وينتهي الإبداع والتوليد المثمر، إذ يجب على طرف أن يسعى إلى إظهار ما عنده من حق لكن على اعتبار أن ما عند غيره أيضا يحتاج منه الإصغاء واحتمال الصواب فيه، وفي ذلك يقول الأستاذ النورسي: "وتدبير الخلاف يقتضي أن يسعى كل واحد لترويج مسلكه وإظهار صحة وجهته، وصواب نظرته، دون أن يحاول هدم مسالك الآخرين أو الطعن في وجهة نظرهم وإيصال مسلكهم، بل ويكون سعيه لإكمال النقص و رأب الصدع والإصلاح ما استطاع إليه سبيلا"[4].

ج- البيان والإيجاز:

---

(١) سورة طه، الآيتان، (٤٢-٤٣).

(٢) سورة النحل، الآية: (١٢٥).

(٣) سورة العنكبوت، الآية: (٤٦).

(٤) بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ص ٣٤٧.

واختصر هذا العنصر في الاستشهاد بخطبة حجة الوداع التي كانت في أول وآخر حجة له عليه الصلاة والسلام والتي جاءت بعد اكتمال الدين و تمام التشريع في قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[1] في مشهد تاريخي مهيب، يقف فيه الرسول عليه الصلاة والسلام على جبل الحمة مخاطبا أمته بعد الفتح المبين وعودته إلى مكة التي طُرد منها خائفا وحيدا مع صاحبه أبي بكر رضي الله عنه وعاد بعد الفتح لتدين له مكة كلها وما حولها وتتحول من الكفر إلى التوحيد، وتشرئب الأعناق إلى ما سيقوله الرسول عليه الصلاة والسلام في خير الأيام وخير المواقف، وإذا به يلخص الدين كله في كلمات موجزة، بسيطة، واضحة ومختصرة لكنها شملت الدين الخاتم والرسالة الخالدة، وضمنها توجيهاته لأمته على مر العصور ليعطينا درسا بليغا في أن قيمة الكلام في قلته، ووضوحه، وبساطته حت يصل بسهولة إلى سامعيه، دون أن يشعرهم بالملل والسّأم.

د- التبسم وطلاقة الوجه:

إن من دواعي القبول في النفوس أن تلقى الناس بوجه طلق، وكما قال عليه الصلاة والسلام "وابتسامتك في وجه أخيك صدقة" وما أحوج المسلم أن يعرض دينه، ورأيه وأن يحاور مخالفيه ويقبل عليهم بوجه طلق، يبعث الطمأنينة في نفوسهم فيطرحون الأفكار على أساس من القبول والراحة، ولا يخفي على أحد سحر الابتسامة التي هي أكثر وسائل الاتصال بين البشر وهي لغة لا تحتاج إلى ترجمة وقد اعتبرها الرسول عليه الصلاة والسلام من المعروف فقال: "لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق"[2] والله تعالى وصف وجوه المؤمنين الفائزين يوم القيامة بالنضارة فقال ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾[3] والابتسامة في أوجه الناس عامة والمحاورين خاصة تجذب القلوب وتؤثر فيها، ويكون بها الإنسان سفير أمان وسلام واطمئنان إلى القلوب.

هكذا تتبين لنا أهمية الحوار كآلية ناجحة من آليات الاختلاف والتي يتحول بها الخلاف تنوعا وتتوصل بها الأطراف إلى استجلاء الحقيقة وبيانها للناس، ورأينا عبر العناصر

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٠٣).

(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر، باب استحباب طلاقة الوجه وحسن البشر، حديث رقم ١٩٧٠، ج٣، ص٣٤٧.

(٣) سورة القيامة، الآيتان، (٢٢-٢٣).

المختلفة كيف يكون آلية من آليات العمل الإيجابي النافع، الذي هو واجب كل مؤمن يحمل هم دينه وهم أمته ويحمل الحق الذي سيخرج البشرية من ضياعها وتيهها كما نادى به وتمثله الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي وهو لم يكف يوما عن جعل العمل الإيجابي طريقة للعمل على نشر الحق والنور الذي ملأ نفسه، وجعله يسامح من ظلموه، ويرى في المآسي التي مر بها والمضايقات التي تعرض لها وسيلة للخلاص حيث يقول: "لقد سامحت عن جميع حقوقي وعفوت عن حزب من الأحزاب السياسية رغم مقاساتي منه ألوفا من المضايقات والسجون منذ ثلاثين سنة، فقد أصبحت جميع تلك المشقات والمضايقات وسيلة لخلاص خمس وتسعين بالمئة من المساكين في أن يسقطوا في مضايقات ومظالم واعتراضات".